Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكلى والمتطلع إلى اكتشاف أنساق وليس جزئيات . لقد كتب المبرد فصولا طويلة فى كامله عن التشبيه ولم يلتفت إلى الاستعارة ، وجعل قدامة التشبيه نعتا من نعوت المعانى الدال عليها الشعر ، كما سبق قدامة ، ابن طباطبا إلى تمييز التشبيهات بالصوت أو الشكل أو الحركات ، ولكن ما يعيبه حقا ، وهو عيب يكاد يكون عاما فى دراسات القدماء ، هو أن الحرص على التشابه الخارجى فى بعض صفات الصورة لم يكن يواكبه إحساس بنفس الدرجة من الحرص على دلالتها النفسية وهى الأهم فى مضمون الصورة بوجه عام (فضلا عن ضرورة تماسك مجموع صور القصيدة فى شعور موحد ، وهو أمر لم يلتفت إليه) فهى لا تجتلب لمجرد توضيح منظر بعيد عن الإدراك الحسى المباشر وإنما للتعبير عن مالا يمكن التعبير عنه إلا بالصورة لتباعده عن مناطق الإدراك الحسى المباشر ، وقد أشرنا من قبل إلى سذاجة تشبيه الرأس الحليق بالصخرة ، وهو تشبيه عامى تماما لا يغير منه وضع عقاب فوقها ، ولا نظن أن العقاب أو هذه الجمة كانت أداة صيد أو إرهاب وإنما كانت أداة زهو وجمال ، « وقد قال أوس بن حجر يشبه ارتفاع أصواتهم فى الحرب تارة وهمودها وانقطاعها تارة ، بصوت التى تجاهد أمر الولادة :

لنا صرخة ثم إسكاتة كما طرقت بنفاس بكر

التطريق قرب الولادة ، أو خروج بعض الولد[٢٢] » ويشعر قدامة بقلق غامض لا يستطيع تعليله تجاه هذا التشبيه لرأس مدرسة التجويد ليقرر ، فيعود ليقرر أن الشاعر لم يرد فى هذا الموضع نفس الصوت ، وإنما أراد حاله فى أزمان مقاطع الصرخات ، وإذا نظر فى ذلك وجد السبب الذى وفق بين الصورتين واحدا ، وهو مجاهدة المشقة والاستعانة على الألم بالتمديد فى الصرخة[٢٣] . لقد نفى قدامة شيئا استدرج إلى إثباته ، حاول فى البداية أن يحصر وجه الشبه فى التتابع الزمنى ، ولكن مالبث أن وجد نوع الألم وأسلوب مقاومته يتداخل مع هذا التتابع الزمنى أو هو الذى يصنعه . ومن الصحيح أنه لا يمكن تشبيه شىء بشىء فى كل الأوجه وإلا كانا بمثابة شىء واحد ، وصحيح نسبيا أو غالبا أن وجوه التشابه والاشتراك ينبغى أن تكون أكثر من وجوه الاختلاف كما قرر البلاغيون ، ولكن هذا لا يعنى إهمال الأوجه

(٢٢) نقد الشعر : ص ١٢٣ .

(٢٣) السابق : ص ١٢٤ .